٣ - القيام على مصالحهم :

ذلكم هو الحق الثالث من أهم حقوق الجنود التى أردنا الحديث عنها هنا ، والقيام على مصالح الناس من أوجب واجبات الحكومة ، فإنما وجدت الحكومات ورضى الناس بالخضوع لها ، والإذعان لسلطانها ، لأنهم يشعرون أن ذلك يحقق لهم مصالحهم ، ويدفع عنهم اعتداءات المعتدين ، وشرور ذوى الشر .

والناس يخضعون أنفسهم للحكومة راضين طائعين ، وهم لا يعطون ذلك لغيرها مهما كلفهم ذلك ، لأنهم يجدون فى ظل الحكومة الأمن والأمان ، والحماية والرعاية ، وهم فى سبيل ذلك يقدمون حريتهم المطلقة ، ويضعون كل إمكاناتهم الشخصية تحت تصرف تلك الحكومة التى تضمن لهم تلك الحقوق .

والحكومة التى لا تحقق لرعاياها تلك الأمانى لا تعرف الاستقرار ، ولا تهنأ بالراحة ، لأن الأشخاص الذين أعطوها ولاءهم ، ومنحوها إخلاصهم ، إذا لم يجدوا مقابل ما يبذلون نقموا وغضبوا ، وكانت نتيجة ذلك تلك الثورات التى أرقت العالم وزعزعت الأمن والاستقرار ، وقضت على الهدوء والرخاء فى كل بلد قامت فيه .

والحكومة الإسلامية التى تقوم على الشرع هى وحدها التى تكفل للناس مصالحهم الدنيوية منها والدينية على حد سواء ، ذلك لأن الحكم القائم على القهر والتغلب يكون جورا وعدوانا ، ويكون لذلك مذموما بمقتضى الحكمة السياسية ، والحكم القائم على السياسة فقط يكون مذموما كذلك لأنه يقتصر على النظر فى شئون الدنيا ولا يعنيه أمر الآخرة فى شىء ، والدنيا كلها عبث وباطل لأن غايتها الموت والفناء .

أما الحكم القائم على أساس شرعى دينى فهو الحكم النافع والمفيد فى الدنيا والآخرة لأن الخلق ليس المقصود الحقيقى لهم هو منافعهم الدنيوية فقط بل منافعهم الآخروية ، وسعادتهم الأبدية هو المقصود الأعظم من أصل خلقهم .

ولا شك أن الشارع الذى خلق الخلق أعلم بمصالحهم من أنفسهم ، ولهذا كان من الواجب أن تكون القيادات فى الدولة خاضعة للنظام الإسلامى الذى وضعه الشارع الحكيم ليكون أسلوبا للحكم وسياسة للدولة .

يقول ابن خلدون – رحمه الله – : « فجاءت الشرائع بحملهم على ذلك فى جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة ، حتى فى الملك الذى هو طبيعى للاجتماع الإنسانى ، فأجرته على منهاج الدين ليكون الكل محوطا بنظر الشارع[1] .

فمن واجبات القيادة فى الإسلام القيام على مصالح الجنود لتحقيق سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، ومن حق الجنود المقرر شرعا المطالبة بها إذا أهملت القيادة أو قصرت فى تقديمها أو القيام لتحقيقها .

إن الإنسان غالبا ما يحدد مصالحه فى الحياة بما تميل إليه نفسه ، وتدفعه إليه ملذاته العاجلة ، فيكون حينئذ تحت تأثيرات نفسية ، وضغوط جسمية لا يستطيع تحت وطأتها أن يفكر فى مصالحه الحقيقية ، إنه لاستيلاء المصلحة العاجلة على عقله وحسه لا يرى غيرها ، ويلح فى طلبها ، بل ويعرض نفسه للضرر سعيا للحصول عليها ، فإذا ترك كل إنسان وما يشتهى ، وأطلقنا باسم الحرية العنان للناس ليفعلوا ما يشاءون ، ويلهثوا وراء ما يحبون ، اختل نظام الأمن ، وسادت الفوضى ، وعم الاضطراب ، وأصبح الناس وكأنهم فى غابة لا نظام فيها ولا قانون .

فلابد إذن أن تكون القيادة واعية لما يدور حولها ، بصيرة بأحوال الرعية ، تبذل جهدها فيما يحقق لهم المصلحة التى يعود عليهم نفعها ، وينعمون بسعادتها فى الدنيا والآخرة .

---

(١) المقدمة : ص ١٩٠ .

وعلى القيادة أن تحمل الجنود حملا على قبول ما فيه مصلحتهم المحققة ، وإن عزفوا عنه ، لأنهم قد لا يدركون ذلك تحت ظروف البيئة والحالة النفسية ، والأوضاع الاقتصادية التى ينغمسون فيها .

ولذلك كان عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – يقول : إن قريشا تريد أن تكون مغويات لمال الله – تعالى – دون عباد الله ، وأنا حى ، فلا والله ، ألا وإنى آخذ بحلاقم قريش عند باب الحرة أمنعهم من الوقوع فى النار[1] .

إن القيادة الرشيدة هى التى تمنع الناس مما يضرهم بالقدر الذى يجلب لهم به ما ينفعهم ولا يعترض على ذلك بأنه حد من حرية الناس ، وتدخل فى شئونهم الخاصة، لأن القيام على مصالح العامة يقتضى ذلك ، وعدم فعله يعتبر خيانة ممن أهمله ، فلو أن إنسانا رأى إنسانا آخر يريد أن يحرق نفسه ، أو يتناول سما أو يلقى بنفسه فى مهلكة وتركه يفعل ذلك وهو قادر على إنقاذه ألست تراه جانيا مشاركا فى تلك الجريمة التى وقعت ؟

فكذلك القيادة التى ترى جنودها يتردون فى المهالك ، ويقدمون على ما يضرهم ، ويتأذون به ، إذا تركتهم وشأنهم ، ولو كان ذلك باسم الحرية ، فإنها تكون مسئولة عن ذلك أمام الشارع ، لأن القيادة أمانة ، والأمانة تقتضى أن يكون المؤتمن ناصحا حريصا على مصلحة من ائتمنه ، وليس من الأمانة أن يترك الناس يقعون فى المهالك ، ويقف مكتوف الأيدى يتفرج على ما يقع بهم .

ولهذا فإن الرسول ﷺ كان حريصا على ألا تقع أمته فى المهالك ، والقرآن الكريم ينهى عن إلقاء الإنسان نفسه فى التهلكة ، يقول – تبارك وتعالى – : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾[2] .

ويقول الرسول الكريم ﷺ : « مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً ، فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها ، وهو يذبهن عنها ، وأنا آخذ بحجزكم عن النار ، وأنتم تفلتون من يدى »[3] .

---

(١) مناقب عمر : ص ٨١ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٩٥ .

(٣) رواه مسلم وأحمد فى المسند

فالناس عادة لا يدركون إلا مصالحهم العاجلة ، وكثيرا ما تغيب عنهم المصالح الآجلة وهى سعادتهم الحقيقية ، فكان لابد من أن يبصروا بها ، فإذا أدركوها ، وعملوا لها فبها ونعمت ، وإلا فإنهم يجب أن يؤطروا عليها أطراً ، وتلك هى سمة الخلافة الرشيدة والفرق بينها وبين الملك الطبيعى والسياسى .

يقول ابن خلدون – رحمه الله – : « الملك الطبيعى هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة والملك السياسى هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلى فى جلب المصالح الدنيوية ، ودفع المضار ، والخلافة هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها ، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة ، فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به »[1] .

ويحذر الرسول ﷺ من التهاون فى دفع الشر عن الناس ، ويأمر أولى الأمر بأن يأخذوهم أخذا إلى طريق الحق والخير ، فيقول ﷺ : « لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطراً ، ولتقصرنه على الحق قصرا ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم يلعنكم كما لعنهم »[2] .

والحديث صريح فى أن نأخذ على يد الظالم ، ولاندعه يظلم فيهلك ، وصريح كذلك فى أنه يجب أن يؤطر الذين لا يعرفون مصالحهم عليها أطرا ، ويحبسوا عليها حبسا .

ولخطورة هذا الأمر ، ولأنه من الأمور التى لا يفقهها كثير من الناس ، بل قد يظن بعض الناس أن الحرية تقتضى ألا يتدخل الإنسان فى مثل ذلك ، لأجل هذا ، ضرب الرسول ﷺ لأمته مثلا حسيا يدرك به من لم يقف على فقه هذه المسألة واجب القيادة نحو رعيتهم ، وذلك حين يقول : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم

---

(١) المقدمة : ص ١٩١ .

(٢) رواه أبو داود .

اسفلها ، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا . فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا »[1]

هكذا يجب على القيادة أن تعرف الناس مصالحهم ، وأن تجبرهم على سلوك طريق الخير إجبارا ولا تدعهم باسم الحرية يسيئون وهم لا يشعرون ولو كان ذلك بحسن نية فالحديث صريح فى حسن نية الذين أرادوا أن يخرقوا فى نصيبهم خرقا لأنهم قصدوا ألا يؤذوا من فوقهم .

وإذا تقرر هذا المعنى فلابد أن نعلم أن المصالح التى يجب على القيادة القيام بها للجنود كثيرة وسأقتصر على أهمها وهى :

أ – الأمن النفسى والجسمى .

ب – الرخاء المادى والمعنوى .

جـ – التعليم بكافة أنواعه .

وسأتكلم عن كل واحد منها بالتفصيل إن شاء الله .

أ – الأمن النفسى والجسمى :

الأمن نعمة كبرى لا يعرف قيمتها إلا من حرم لذتها ، ولقد امتن الله – تعالى – على سكان مكة بنعمة الأمن قال – تعالى – : ﴿ أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ، ويتخطف الناس من حولهم ﴾[2] فلو لم تكن تلك نعمة عظيمة ، ومنة جليلة لما ذكرت فى هذا المقام .

ولو أن إنسانا تصور أنه فى غابة موحشة ، تكتنفه الوحوش من كل جانب ، وتتربص به العصابات من كل ناحية ، فلينظر كيف يكون حاله فى تلك الغابة ؟ بل كيف تمر به الساعات وتمضى عليه اللحظات ؟ إن كل ساعة تمر به كأنها دهر لا ينقضى وكل لحظة تمضى عليه كأنها سنين لا تنتهى ، وياليتها سنين

---

(١) رواه البخارى .

(٢) سورة العنكبوت : الآية ٦٧ .

خالية من الفزع ، مجردة من هذا الترويع ، ولو قارن الإنسان بين حاله تلك ، وبين وجوده مع أهله وإخوانه خالى البال من كل مفزع ، مجرد الفكر من كل مروع فكيف يجد حينئذ لذة الأمن ، وكيف يكون شكره عليها لمن أنعم بها عليه .

ولقد عبر الرسول ﷺ عن نعمة الأمن بقوله : « من أصبح منكم آمنا فى سربه ، معافى فى جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها »[1] .

فالدنيا بحذافيرها تتمثل فى هذا الثالوث : الأمن – الصحة – الرزق ، فالأمن إذن يعدل ثلث الدنيا ، وقد يزيد فى قيمته على ثلثها ، لأن الأمن هو راحة البال ، واطمئنان النفس ، بل هو السعادة الحقيقية المنبعثة من داخل الإنسان ، أعظم من ملك الدنيا كلها .

لأن الإنسان إذا ملك الدنيا بحذافيرها ، وكان مع ذلك قلق البال حائر النفس ، مشتت الذهن ، لا يشعر بلذة لما يملك ، ولو طلبت منه الدنيا التى يملكها مقابل الأمن والاطمئنان لبذلها طائعا غير آسف على فقدها .

لهذا كان من واجب القيادة الإسلامية توفير الأمن لكل المسلمين بغير استثناء لا يحرم منه إلا مذنب على جريمته بينة تدينه ، وهذا الأمن بتلك المثابة حق من حقوق الجنود لا يمنعهم منه إلا ظالم غشوم .

وإنما يتحقق الأمن للجنود بأمور لابد من توفرها ، والقيادة الإسلامية هى المسئولة أمام الله – عز وجل – ثم أمام الضمير الإنسانى الواعى إذا أهملت أو قصرت فى توفير هذه الأمور .

أول هذه الأمور الثقة فى عدالة القيادة ، وأنها لا تحابى أحدا مهما قرب على حساب أحد .

تلك الثقة تبعث فى النفس الطمأنينة والرضى ، وتجعل الإنسان لا يخاف أن

---

(١) رواه البخارى فى الأدب والترمذى وابن ماجة .

يظلم أو يتعرض للظلم من أحد ، وعدالة القيادة تجعل كل امرىء واثقا من عدم الاعتداء عليه ، لأن المعتدى لابد أن ينال جزاءه ، وفى الوقت نفسه نردع من تسول له نفسه الاعتداء على الآمنين وإذا توقف الاعتداء ، ووجدت السلطة التى تقيم القسط بين الناس توفر لهم الأمن ، وساد الاطمئنان .

إن أعظم ما يحرص عليه الإنسان فى هذه الحياة هو الأمن الذى يمثل الحياة الطبيعية لكل إنسان ، إنه يريد أن ينام دون أن يُذهب عنه النوم خوف لص يسرق متاعه أو لص يسرقه من أهله وأولاده ، ، ويحرمهم منه إلى الأبد أو إلى حين .

ويريد أن يتاجر دون أن تتعرض تجارته للضرائب الباهظة التى تحول كده وتعبه ربحا صافيا إلى جيوب الجباة الظالمين ، أو تتعرض للمصادرة والتأميم .

ويريد أن يمارس حقه السياسى دون أن يتعرض للإرهاب والحرمان والتجريد من أبسط الحقوق التى يتمتع بها أخس الحيوانات فى غابة لا يحكمها نظام ولا قانون .

ويريد أن يتمتع بحقوقه التى تكفلها له النظم والشرائع من غير إهانة ولا تحقير ، ولا مساومة ولا تخويف .

وأخيراً يريد أن يعيش فى وطنه قرير النفس ، هانىء البال ، مرتاح الضمير ، تتوفر له كل الإمكانات التى تمكنه من البناء والتعمير ، وبين أهله وأولاده سعيدا بهم ، مسرورا برفقتهم دون أن يخشى سطوة لصوص الإنسانية الذين يخطفون الرجال والنساء خلسة فى ظلام الليل ، أو جهارا نهارا متحدين كرامة الإنسان وحريته غير عابئين بالنظم والقوانين التى تكفل له هذه الكرامة وتلك الحرية .

إن هذا الأمن لا يتوفر للجنود إلا فى ظل قيادة رشيدة ، تؤمن بأن من واجبها حماية الجنود ، ودفع الأذى عنهم ، وتوفير الثقة فى عدالتها للقاصى والدانى على حد سواء .

وثانى هذه الأمور الاعتراف بكرامة الإنسان وحريته التى ولدت معه ،

بحيث لا يضرب بغير جريرة ، ولا يهان بغير جناية ، ولا يهدد وهو برىء لم يرتكب ذنبا .

إن الاعتراف بكرامة الإنسان اعترافا عمليا ، واحترام حريته التى خلقها الله معه ، يبعث فى النفس الأمن والاستقرار ، فالإنسان آمن فى ظل الإسلام ، مالم يرتكب جريمة يستحق عليها العقاب ، وحينئذ لا كرامة له لأنه هو الذى أهدر كرامته ، ولا حرية له لأنه هو الذى جرد نفسه من حريته حيث وضعها تحت طائلة العقاب .

واعترافا بكرامة الإنسان وحريته كان الخلفاء – رضوان الله عليهم – يوصون العمال والولاة وقواد الجيوش بعدم إذلال الجنود بضربهم أو إهانتهم ، وبعدم تجميدهم فى ميادين الحرب مدة طويلة تجعلهم يشتاقون إلى أهلهم وأولادهم ، لأن فى ذلك إهداراً لكرامتهم ، وتحقيرا لإنسانيتهم ، فالإنسان إذا ضرب وأهين ذل وخضع ، وفقد شخصيته التى لا يعتبر إنسانا إلا بها وإذا حبس عن أهله وولده مدة لا يستطيعها فإنه يفقد حبه لوطنه ، ويشعر باحتقار آدميته ، وينصرف تفكيره إلى الوسائل التى يتخلص بها من هذا النظام القاسى العنيف ، فينقلب حبه بغضا وولاؤه تمردا ، ويكون بعد ذلك عاملا من عوامل فقد الأمن فى المجتمع الذى يعيش فيه ، وماذا تجنى الأمة من جنود فقدوا شخصيتهم ، وما تنتظر منهم وقد حرمتهم من أعزّ عزيز لديهم ؟

إن الجندى الذليل لا يجلب لأمته العزة ، وإن الأشقياء بحرمانهم من أهليهم وأولادهم وذويهم لا يقدمون لأوطانهم السعادة لسبب بسيط جدا وهو أن فاقد الشىء لا يعطيه ، والشاعر يقول :

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة نار

إن الجنود إذا وجدوا من قيادتهم حرصا على عزتهم وكرامتهم ضحوا فى سبيلها بكل غال ونفيس ، وإذا أحسوا منها بالعمل الدائب على توفير سعادتهم لم يبخلوا عليها بأنفسهم وأولادهم ، وإن من أهم ما يوفر للإنسان عزته ، ويقدم له سعادته هو الأمن والاطمئنان ، ولذلك كان عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – يكتب إلى الأمراء ، لا تجلدوا العرب فتذلوها ، كما كان يكتب لهم ،

لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجمروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم[1] .

وثالث هذه الأمور عدم ترويعهم وتخويفهم ولو على طريق المزاح ، لأن الترويع يقذف فى القلب الخوف ، ويشيع فى النفس الرعب ، ولا يأتى مع الخوف والرعب أمان أبداً ، فالخوف يخلع قلب الإنسان فيفقد صوابه ، ويطيش حلمه ، ويصبح ولا قدرة له على مواجهة الأمور ، ولا يستطيع الصمود أمام المحن .

وإذا كان الواجب على القيادة أن تمنع المسلمين من أن يخوف بعضهم بعضا وأن تردع من يفعل ذلك منهم ، فإن من أوجب الواجبات ألا يكون ذلك منها ولا يصدر عنها ، لأن الخوف يحطم معنويات الناس إذا صدر من إنسان عادى ، فكيف إذا كان من مصدر السلطة وممن بيدهم التحكم فى مصير الناس ومعاشهم ، لا شك أن يكون ذلك أكثر ترويعا ، وأشد تخويفا ، وأن يكون أثره على النفس أعنف وأقسى .

روى صاحب المناقب عن الحسن – رحمه الله – قال : بلغ عمر بن الخطاب – رضوان الله عليه – أن امرأة يتحدث عندها الرجال ، فأرسل إليها .

قال : وكان عمر رجلا مهيبا ، فلما جاءها الرسول قالت : يا ويلها مالها ولعمر ؟ فخرجت فضربها المخاض ، فمرت بنسوة فعرفن الذى بها ، فقدمت بغلام فصاح صيحة ثم طفا – مات – .

فبلغ ذلك عمر – رضى الله عنه – فجمع المهاجرين والأنصار – رضى الله عنهم أجمعين – فاستشارهم – وفى آخر القوم رجل – فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنما كنت مؤدبا وإنما أنت راع .

قال عمر : ما تقول يا فلان ؟

---

(١) الطبرى : ٤ / ٢٠ وابن الأثير : ٥٦/٣ وهيكل : ٢٥/٢ .

قال : أقول : إن كان القوم تابعوك على هواك فوالله ما نصحوا لك ، وإن يكونوا اجتهدوا آراءهم فوالله لقد أخطأ رأيهم .

يا أمير المؤمنين ، أما وديته ؟

قال عمر : فعزمت عليك لما قمت فقسمتها على قومك .

قيل للحسن : من الرجل ؟ قال : على بن أبى طالب - كرم الله وجهه -(١) .

إن المرأة قد أتت أمرا يخالف ما عرف عن نساء المسلمين ، حيث كان الرجال يجلسون عندها ، ويتحدثون إليها ، ومن حق عمر - أمير المؤمنين - أن يعرف حقيقة هذا الأمر ، فإن كان مخالفا للشرع أو قفه وردع من يعمله ، وإن كان فى الحدود المباحة سكت عنه .

ولم تكد المرأة يبلغها أن عمر يطلبها حتى ألقت جنينها الذى بين أحشائها لخوفها من عمر ، لقد أصابها من الرعب ما أفزعها ، واستولى عليها الخوف حتى أجهضها ، فلما بلغ عمر ما حدث للمرأة علم أن ذلك بسبب ترويعها ، فطيب خاطرها ، وهدأ روعها ، وأعطاها دية جنينها .

وكان يوما يحلقه حالقه فتنحنح ، فأصاب الحالق ذعر جعله يحدث ، وعلم عمر بما جرى للحجام ، فعوضه عن فزعه وما أصابه من الرعب بأربعين درهما(٢) .

ولهذا نهى رسول الله ﷺ عن المزاح الذى يسبب الرعب والخوف لأنه وإن كان مزاحا إلا أنه أثر فى نفس من يمزح معه بما نهى عنه الشرع وأوقع الرعب فى قلبه ، وأزال الأمن عن نفسه ، قال ﷺ : « لا يأخذن أحدكم عصا أخيه لعبا ولا جدا ، ومن أخذ عصا أخيه فليردها إليه »(٣) .

---

(١) مناقب عمر : ص ١٣٥ .

(٢) مناقب عمر : ص ١٣٤ .

(٣) رواه أبو داود والترمذى .

إن أخذ متاع الرجل عصا أو غيرها من غير علمه يفزعه ، ويدخل على قلبه هما لولا أخذ متاعه ما أصيب به ، وهذا نوع من الترويع الذى يكرهه الإسلام لأن الإنسان عندما يفقد شيئا يملكه ، يفقد معه الأمن الذى كان يرجوه ويتبدد أمله فى الأمان الذى ينبغى أن يتوفر فى المجتمع ، وتتزعزع ثقته فى كل ما حوله .

جاء فى الحديث الشريف أن الصحابة كانوا يسيرون مع رسول الله ﷺ فنام رجل منهم ، فانطلق بعضهم إلى حبل معه ، فأخذه ، ففزع الرجل . فقال رسول الله ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يروع مسلما »(١) .

من هذا نعلم أن الأمن فى الإسلام حق لكل مسلم ولا يجوز لأحد مهما كان حاكما أو مسئولا أن يروع مؤمنا إلا بحق .

ولما كان الأمن بهذه المكانة فى الإسلام جعله الله – عز وجل – مثوبة لمن يخلصون إيمانهم لله الواحد القهار ، قال – تعالى – : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾(٢) .

وبشر به المؤمنين الذين استقاموا على إيمانهم حتى أدركهم الموت ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ﴾(٣) .

إذن هو أمن فى الدنيا يعقبه أمن فى الآخرة ، وأمن الآخرة امتداد لأمن الدنيا ، لأن أمن الدنيا لا يكون إلا لمن آمن بالله ، واستقام على أمره ، وذلك هو الأمن الحقيقى الذى تسعد به النفس ، ويطمئن إليه القلب ، بل هو سر السعادة الحقيقية التى تنبعث من نفس الإنسان ، وتنبع من داخله ، وهو مع تلك السعادة لا تنغص عيشه آلام الدنيا ولا تكدر صفوه متاعب الحياة .

---

(١) رواه أبو داود .
(٢) سورة الأنعام : الآية ٨٢ .
(٣) سورة فصلت : الآية ٣٠ .

فلا يشعر بحاجة مع الفقر ، ولا يحس بألم مع المرض ، يعيش عزيز النفس إذا أذل الحرص أعناق الرجال ، ويقضى كريما إلى ربه يوم يهان المتجبرون الطغاة .

ب – الرخاء :

ومن حق الجنود أن ينعموا بحياة كريمة لا يذلون أنفسهم فيها من أجل لقمة العيش ، ولا يلهثون وراء ما يسدون به رمقهم ، ويسترون به عورتهم ، وليس معنى هذا أن ينغمسوا فى الترف إلى أذقانهم ، أو يرفلوا فى النعيم حتى ينسوا واجبهم ، بل معناه الذى نقصده أن تتوفر لكل فرد فى المجتمع ضرورات الحياة التى تغنيه عن السؤال ، وتفرغه لما يجب عليه القيام به .

إن توفير الطعام لكل فرد واجب من واجبات القيادة ، تقوم به بموجب التبعة التى لزمتها بتصدرها جماعة المسلمين ، وإن توفير الكساء وكل ما يحتاجه المسلمون أمر حتمى يتحمله المسئولون ماداموا قد تحملوا تبعة القيام بأمر المسلمين .

إن الإسلام قد شرع لكل فرد من رعاياه حقوقا ينبغى أن توفرها القيادة القائمة على شئون المسلمين ، فحق المسكن والرعاية ، وحق المركب والزواج ، وحق المأكل والكسوة ، كل هذه الحقوق قد كفلها الإسلام للمسلمين ليضمن لهم حياة كريمة ورزقا رغدا ، يسعهم ويسع من يعولون ، يقول الرسول ﷺ : « من ولى للناس عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا ، أو ليست له زوجة فليتزوج أو ليس له خادم فليتخذ خادما ، أو ليست له دابة فليتخذ دابة »[1] .

وبهذا يمنح الإسلام موظفى الدولة كل الإمكانات التى تكف أيديهم عن أخذ الرشوة ، وتغنيهم عن الاختلاس ، وتمدهم بالطاقات التى تمكنهم من القيام بالأعمال المنوطة بهم من غير كسل ولا تخاذل ، وعندئذ يكون من حق الدولة محاسبتهم إذا قصروا فى العمل أو أهملوا فى الواجب .

وبهذا تتحمل الأمة مسئوليتها ، وتقوم بواجبها نحو رعاياها ، ومسئولية

---

(١) رواه أحمد وأبو داود .

الأمة فى هذا الباب لا تقف عند حد إلا أن يحصِّل كل فرد ضرورياته .

والرسول ﷺ يوضح مسئولية الدولة عن رعاياها ، ويوضح جسامة تلك المسئولية حتى إن الدولة لتحمل ديون الذين ماتوا من رعاياها وعليهم ديون عجزوا عن أدائها ، حيث يقول : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفى من المؤمنين فترك دينا فعلى قضاؤه ، ومن ترك مالا فلورثته »[1] .

ويقول ابن حجر – رحمه الله – وهو يذكر مناسبة الحديث للباب : وأراد المصنف بإدخاله فى أبواب النفقات الإشارة إلى أن من مات وله أولاد ، ولم يترك لهم شيئا فإن نفقتهم تجب فى بيت مال المسلمين[2] .

فالقيادة الإسلامية ملزمة بتأمين سبل العيش لكل فرد يعيش فى كنفها ولو كان من غير المسلمين ، فهى تأمن وسائل العمل للقادرين عليه ، ولكنهم لم يجدوا ما يعملون فيه ، كما أمن الرسول للرجل المحتطب القدوم والحبل وأمره أن يحتطب ، والذى لا مال له تعطيه ما يؤمن له الوسيلة التى يكسب بها رزقه ، وأما العاجزون بسبب الشيخوخة أو علة لا يستطيعون العمل معها فإن الدولة تنفق عليهم من بيت مال المسلمين .

ولقد امتدت تلك المسئولية إلى غير المسلمين الذين كانوا فى حماية الدولة وكنفها حتى إن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – رأى شيخا يطرق الأبواب يسأل الناس فسأله ما ألجأك إلى هذا فقال : أسأل الجزية والحاجة والسن .

قال عمر : من أى أهل الكتاب أنت ؟

قال : يهودى .

فأخذ عمر بيده ، وذهب به إلى منزله ، ورضخ له بشىء من المنزل ثم أرسل إلى خازن بيت المال .

فقال : انظر هذا وضرباءه ، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ، ثم نخذله

---

(١) رواه البخارى : ٩/٥١٥ .

(٢) فتح البارى : ٩/٥١٦ .

عند الهرم ، وقرأ قوله – تعالى – : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾[1] .

وقال : الفقراء هم المسلمون ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب .

ووضع عنه الجزية وعن ضربائه[2] .

وعمر – رضى الله عنه – لم يتصرف مع هذا الشيخ اليهودى بمجرد العاطفة ، ولم يكن ذلك اجتهادا منه فى تلك المسألة ، ولكنه استدل على ما فعل من كتاب الله – عز وجل – حين قال : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾ وبين أن الشيخ من مساكين أهل الكتاب ، وهذا يؤيد مسئولية الدولة عن كل من يدب على أرضها مادام يعيش فى حمايتها وكنفها .

روى البلاذرى عن هشام الكعبى قال : رأيت عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – يحمل ديوان خزاعة حتى ينزل قُديدًا ، فتأتيه بقديد ، فلا تغيب عنه امرأة بكر ولا ثيب ، فيعطيهن فى أيديهن ، ثم يروح فينزل عسفان فيفعل مثل ذلك حتى توفى[3] .

عمر أمير المؤمنين كان يدرك مسئولية الدولة عن توفير الرخاء والأرزاق لكل المسلمين ، وقد دفعه إدراكه لتلك المسئولية الجسيمة أن كان يذهب بنفسه إلى قديد مرة ، وإلى عسفان مرة ليعطى كل ذى حق حقه .

لقد كان فى استطاعة عمر أن يعلن عن يوم لتسليم الناس أعطياتهم ويجلس فى المدينة ، ويأتيه أصحاب الحقوق فيأخذون نصيبهم من مال الله ، نعم لقد كان عمر يستطيع أن يفعل ذلك ويستريح من هذا العناء ، ولكنه قدر أن الناس جميعا ليسوا سواء فى القدرة على الحضور إلى المدينة ليأخذوا حقهم فكان عليه أن يحمله إليهم ، لأن فيهم العاجز والشيخ والعجوز والمخدرة التى لا تستطيع السفر وحدها ، ورأى أن فى تكليفهم بالحضور مشقة قد تقعدهم عن أخذ حقوقهم فيتحمل مسئولية ذلك كله أمام الله – عز وجل – .

---

(١) سورة التوبة : الآية ٦٠ .

(٢) الخراج : ص ١٢٦ .

(٣) فتوح البلدان ص ٤٣٨ .

وقد يقول قائل : لماذا لم يرسل إليهم رجلا يقوم بتسليم الأموال إلى مستحقيها بدلا من أن يحمل هو المال بنفسه ؟

لقد كان بوسعه – رضى الله عنه – أن يفعل ذلك ، ولو فعل لما كان عليه لوم ، ولكنه كان يؤمن بأن أحدا لن يحمل عنه مسئوليته أمام الله ، وسيظل هو مسئولا عنها لو قصر رسوله ولم يقم بالواجب كما يراه عمر ، ولعل هذا هو السبب الذى جعله يرفض أن يحمل عنه مولاه أسلم الدقيق الذى حمله إلى الأطفال الجياع .

فإنه لما أخرج الدقيق والشحم قال لأسلم : إحمل على .

قال أسلم : أنا أحمل عنك .

قال عمر : أنت تحمل وزرى يوم القيامة ، لا أم لك !(١) .

وهذا الشعور هو الذى جعل عمر يركز السلطة كلها فى يده حتى أصبحت حكومته حكومة مركزية كما سبق وأشرت إلى ذلك .

وكان عمر والخلفاء من بعده يؤمنون بحق المسلمين فى المال ، ويؤمنون كذلك بأن القيادة ملزمة بتأمين الرخاء ، والعمل الجاد لزيادة دخل الفرد ، لأن ذلك مما يسعده فى حياته ويكفيه سؤال الناس وإراقة ماء وجهه أمام عتباتهم ، ولهذا كان يقول :

والله الذى لا إله إلا هو ما أحد إلا وله فى هذا المال حق أعطيه أو منعه وما أحد أحق به من أحد إلا عبد مملوك ، وما أنا فيه إلا كأحدكم ، ولكنا على منازلنا من كتاب الله – عز وجل – وقسمنا من رسول الله ﷺ فالرجل وتلاده فى الإسلام ، والرجل وقدمه فى الإسلام ، والرجل وغناؤه فى الإسلام ، والرجل وحاجته فى الإسلام ، والله لئن بقيت ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه قبل أن يحمر وجهه (يعنى فى طلبه)(٢) .

---

(١) أخبار عمر : ص ٣٤٥ .

(٢) الخراج : ص ٤٦ .

فعمر هنا يقرر حق المسلمين فيما يأتى إلى بيت المال ، ويقرر كذلك مسئولية القيادة نحو المال وما يجب عليها حياله ، وذلك حين يقول : والله لئن بقيت ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا الماء وهو مكانه قبل أن يحمر وجهه .

إن الدولة مسئولة عن توصيل المال إلى مستحقيه وهم فى أماكنهم دون أن تحملهم مشقة الحضور إلى العاصمة لاستلامه ، ولو أنهم حضروا لاستلامه لما كان عليهم بأس ، ولكن عمر يؤكد مسئولية الدولة عن ذلك ، كما يؤكد مسئوليتها عن توفير الرخاء للمسلمين فى أى مكان يكونون .

لم يقف عمر بالعطاء عند حد معين ، مع أنه فرض لكل فرد ما يستحق ولكنه كان كلما زاد المال زاد فى الأعطيات توسيعا على المسلمين ، وإعانة لهم على أداء واجباتهم ، ومتطلبات الحياة التى تجد لهم ، لقد كانت الحياة تنفتح على المسلمين وتأتيهم الفتوحات فى كل يوم بجديد ، ثم من كان يستجد فى حياتهم من المواليد فكان عمر – رضى الله عنه – يواجه ذلك كله بحلول تتناسب مع الوقائع التى كانت تواجههم .

ففرض للقيط – وهو الطفل الذى يوجد ولم يعرف له عائل – فرض له عمر مائة درهم ، وجعل لمن يتولى شئونه وتربيته بقدر ما يصلحه تشجيعا للناس على تربية اللقطاء ، وكان يتدرج باللقيط فيرفع مخصصه سنة بعد سنة[1] .

كذلك كان يفرض للمولود مائة درهم ، فإذا ترعرع بلغ به مائتين فإذا بلغ زاده وهكذا[1] .

وجعل للمجذومين دارا خاصة بهم ، وأجرى عليهم الأرزاق ، لئلا يختلطوا بالناس فيعم بلاؤهم ، وتنتشر عدواهم ، وهو فى ذلك يعمل بقول الرسول ﷺ : « فر من المجذوم كما تفر من الأسد »[2] .

---

(١) فتوح البلدان : ص ٤٣٨ .

(٢) رواه البخارى .

وكان – رضى الله عنه – يزيد فى أعطيات الناس ، ويتمنى لو يبلغ المال عنده قدرا يستطيع أن يفرض فيه للناس على أربعة آلاف ، روى البلاذرى أنه – رضى الله عنه – قال : لئن كثر المال لأفرضن لكل رجل أربعة آلاف درهم : ألفاً لسفره ، وألفا لسلاحه ، وألفا يخلفه لأهله ، وألفا لفرسه ونعله[1] .

وكان يسر ويفرح كلما زادت العطايا ، ويزيد سروره بوصول الأعطيات إلى أهلها لأنه كان يرى أنه عبء وضعه عن كاهله ، ولذلك لما قدم خالد بن عرفطة من العراق سأله عمر – رضى الله عنه – عما وراءه .

فقال : تركتهم يسألون الله لك أن يزيد فى عمرك من أعمارهم ، ما وطىء أحد القادسية إلا وعطاؤه ألفان أو خمس عشرة مائة ، وما من مولود ذكر كان أو أنثى إلا ألحق فى مائة وجريبين فى كل شهر .

قال عمر : إنما هو حقهم ، وأنا أسعد بأدائه إليهم[2] .

ولما يبلغه أن بعض عماله أمسك شيئا من المال كان لا يرضى عن ذلك وكان يكتب إليه أن يقسم المال على مستحقيه ، بلغه يوما أن حذيفة أمسك شيئا من المال فكتب إليه ، أن اعط الناس أعطيتهم وأرزاقهم .

قال حذيفة : قد فعلنا ، وبقى شىء كثير .

فكتب إليه عمر ، إنه فيؤهم الذى أفاءه الله عليهم ، ليس هو لعمر ولا لآل عمر ، فأقسمه بينهم[3] .

وأراد أن يعرف كم يكفى العيِّل من الطعام ، فأمر بجريب (قدره سبعة أقفزة) فعجن وخبز ، ثم ثرد فى الزيت ، ودعا ثلاثين مسكينا فأكلوا منه حتى شبعوا ، فلما كان العشاء أمر بمثل ذلك فأكلوا وشبعوا .

فتبين لعمر أن الرجل يكفيه جريبان فى كل شهر ، ففرض للعيِّل جريبين فى الشهر[4] وأمر بأن يحصى عمال أهل العوالى ، وهم قوم كانوا يعملون

(١) فتوح البلدان : ص ٤٣٨ .
(٢) نفسه : ٤٣٩ .
(٣) نفسه .
(٤) الخراج : ص ٤٧ .

بالزراعة ، فكان بعد ذلك يجرى عليهم القوت .

وظل الأمر كذلك حتى خلافة عثمان - رضى الله عنه - فوسع عليهم فى القوت والكسوة(١) .

إن الرخاء الذى توفره القيادة للجنود مطلب من مطالب الحياة لا يستغنى عنه مخلوق ، ولو أن الناس يتفاوتون فى طلبه وفى الاستمتاع به ، فمنهم من يطلبه رغدا سهلا ، ويستمتعون به إلى أقصى حد ممكن ، ومنهم من يطلبه قصدا بغير عناء ، ويستمتعون به فى حدود الضرورات وشيئا من المباحات ، ولكنهم جميعا لا يرضون بغير الرخاء ، ذلك لأن الجهد فى طلب الرزق ، والكد فى تحصيل ضرورات الحياة قد يؤدى إلى الذل والصغار .

ولعل هذا هو الذى جعل أمير المؤمنين - على بن أبى طالب - رضى الله عنه - يقول : يكاد الفقر أن يكون كفرا ، وجاء فى الأثر ، بئس الضجيع الجوع .

ولهذا كان الرسول ﷺ يستعيذ بالله من الكفر والفقر يقرن بينهما حتى ليدرك المرء أن الكفر والفقر قرينان لا يقل أحدهما عن الآخر شيئا .

روى عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه : أنه سمع رسول الله ﷺ يدعو بهذه الكلمات ، وذكر منها : اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر(٢) .

كما كان ﷺ يستعيذ بالله من فتنة الفقر فيما رواه الترمذى والنسائى .

جـ - التعليم :

لا يعرف دين سماوى حارب الأمية كما حاربها الإسلام ، ولا يعرف دين جعل طلب العلم فريضة على أتباعه سوى الإسلام ، فالتعليم فى الإسلام ضرورة من ضروريات الحياة ، لا يمكن الاستغناء عنها ، وذلك لأن الجهل آفة مدمرة ، تفتك بصاحبها قبل أن تفتك بغيره ، ومن هنا كان حرص الإسلام على النهوض

---

(١) فتوح البلدان : ص ٤٣٨ .
(٢) رواه أبو داود والحاكم .

بالمسلمين ورفع مستواهم العقلى بالعلم ، والجسمى بالرخاء ، والنفسى بالأمن .

والتعليم حق لكل فرد فى المجتمع الإسلامى ذكرا كان أم أنثى ، وقد حث الرسول ﷺ المسلمين على طلب العلم بقوله : « تعلموا العلم ، فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد »(١) .

ولما جاء صفوان بن عسال المرادى – رضى الله عنه – إلى الرسول ﷺ وأخبره أنه جاء يطلب العلم رحب به الرسول وأدناه ، وبشره بأن الملائكة تحب ما جاء يطلبه ، روى الإمام أحمد – رحمه الله – عن صفوان بن عسال – رضى الله عنه – قال : أتيت النبى ﷺ وهو فى المسجد متكىء على برد له أحمر ، فقلت له : يا رسول الله ، إنى جئت أطلب العلم .

فقال : مرحبا بطالب العلم ، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ، ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب .

وكما يحث الإسلام على طلب العلم ، يحث على الرحلة فى طلبه ، ويجعل الخروج لطلب العلم كالخروج للجهاد فى سبيل الله ، يقول ﷺ : « من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع »(٢) .

وليس أدل على منزلة العلم فى الإسلام ، وعلى الأمر بتعلمه ، من قوله – تعالى – : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾(٣) .

وإن نزول الآيات الأولى من القرآن الكريم على رسول الله ﷺ تأمره بالقراءة وهو النبى الأمى ، وتنوه بالعلم فتذكره فى الآيات مع قصرهن ثلاث مرات ، وتصرح بذكر أداة الكتابة وهو القلم لأكبر دليل على احتفاء الإسلام بالعلم ورفعة منزلة العلماء ، يقول الله – تبارك وتعالى – : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم ﴾(٤) .

---

(١) الترغيب والترهيب .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) سورة المجادلة : الآية ١١ .
(٤) سورة العلق : الآية ١ – ٥ .

والقيادة الإسلامية مسئولة عن تعليم الرعية ، وعليها بذل قصارى جهدها فى توفير المدارس والمدرسين والكتب وكل ما يعين على التعلم ، لأن الإسلام يؤهل أبناءه ليكونوا أساتذة يحملون العلم بأمانة ، ويبذلونه للقاصى والدانى بغير ثمن ، فهم منهيون عن كتم العلم ، لأن كتمان العلم يؤدى إلى تجهيل الناس ، وعدم معرفتهم لأمور دينهم ، ولهذا يقول ﷺ : « من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار »[1]

ومن هذا يتقرر أن العلم حق للجميع ، وليس لطائفة دون بقية الناس فالإسلام لا يميز بين الطبقات ، ولا يفرق بين الناس فى طلب العلم .

ولقد غضب ﷺ لما علم أن أناسا من المسلمين عندهم من العلم ما ينفعون به غيرهم ، ثم أمسكوه ، ولم يبذلوه ، فقام فى الناس خطيباً ، وهدد أولئك الذين بخلوا بالعلم ، ولم يعلموا جيرانهم ، وتوعدهم بتعجيل العقوبة .

روى الهيثمى فى مجمع الزوائد تحت باب تعليم من لا يعلم قال : عن علقمة بن سعد عن أبيه عن جده قال : خطب رسول الله ﷺ ذات يوم ، فأثنى على طوائف من المسلمين خيرا .

ثم قال : ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ، ولا يعلمونهم ، ولا يعظونهم ، ولا يأمرونهم ، ولا ينهونهم ، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ، ولا يتفقهون ، ولا يتعظون ، والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعجلنهم العقوبة .

قال قوم : من ترونه عنى بهؤلاء ؟

قال : الأشعريين هم قوم فقهاء ، ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب فبلغ ذلك الأشعريين ، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، ذكرت قوما بخير ، وذكرتنا بشر ، فما بالنا ؟

---

(١) رواه ابن حبان والحاكم .

فقال ﷺ : ليعلمن قوم جيرانهم ، وليعظنهم ، وليأمرنهم ، ولينهونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ، ويتعظون ، ويتفقهون ، أو لأعجلنهم العقوبة في الدنيا .

قال الأشعريون : يا رسول الله أنفطن غيرنا ؟

فأعاد قوله عليهم .

فأعادوا قولهم : أنفطن غيرنا ؟

فقال ذلك أيضا .

فقالوا : أمهلنا سنة .

فأمهلهم سنة ليفقهوهم ويعلموهم ويعظوهم[1] .

وهذا الحديث يدل بوضوح على أنه لا يجوز أن يوجد في المجتمع المسلم فرد أو جماعة غير متعلمين وهناك من يستطيع القيام بتعليمهم ، إن السكوت على جهل الجاهل مع القدرة على تعليمه جريمة لا ينبغي أن تقرها القيادة الإسلامية ، بل عليها أن تقوم على الفور بمحو جهالة الجهال ، بتعليمهم وتثقيفهم ، وإلا فإنها ستتحمل مسئولية ذلك .

وإن تهديد الرسول ﷺ وتوعده للطرفين على حد سواء ، الذين لم يتعلموا ، والذين عندهم القدرة على التعليم ولم يعلموا ، دليل قاطع على وجوب تعليم كل فرد في هذه الأمة ، وأن التعليم حق لكل مسلم لا يجوز التغاضي عنه ومن جهة أخرى يدل على أن غير المتعلم يجب عليه أن يبحث عن سبل العلم ، ويسعى إليها ويتقدم لها ، وعلى القادرين على التعليم أن يقدموا أنفسهم للقيادة ، ويبذلوا جهدهم في تعليم غيرهم ، فإذا لم يفعل أحدهما فهو آثم ، لأن الرسول ﷺ لا يعجل العقوبة في الدنيا على ترك مباح ، فلو لم يكن تعليم الأمي واجبا لما توعد الرسول الطرفين بتعجيل العقوبة .

ونحن نلاحظ هنا أن الأشعريين قط طلبوا من الرسول أن يمهلهم سنة ،

---

(١) الترغيب والترهيب ، التراتيب الإدارية ١/٤١ .

وهذا يدل على أنهم سيعلمونهم كل ما يحتاجون إليه ، ولو كانت المسائل التى سيتعلمونها قليلة لما طلبوا هذه المهلة الطويلة .

إن الأشعريين قد أدركوا تقصيرهم نحو جيرانهم ، وأحسوا من كلام الرسول ﷺ أن عليهم واجبا نحو إخوانهم المسلمين يجب عليهم ان يقوموا به ، إنهم قوم فقهاء عندهم من العلم ما ليس عند غيرهم ، فلماذا يبخلون به ؟

والذى يظهر من سياق الحديث أن الأشعريين لم يكونوا يعرفون أن تعليم الجهال ، وتفطين غير المتعلمين واجب عليهم ، ولذلك كرروا قولهم : أنفطن غيرنا ؟

ولكن الرسول كرر الوعيد لهم ليعلمهم أن ذلك واجب عليهم ، وأنهم إذا لم يفعلوا استنزل بهم العقوبة فى الدنيا لا محالة .

وفى الحديث الشريف إشارة واضحة إلى أن على المسلم أن يتفقد إخوانه المسلمين ، ويتعرف أحوالهم فى كل المجالات ، وأن جهله بوضعهم لا يعفيه من المسئولية ، إذ كيف يجهل أحوال جيرانه وهم أقرب الناس إليه ؟

إنه مسئول عمن بات جائعا منهم وهو شبعان ، ومسئول عمن أمسى مريضا وهو معاف ، ومسئول عمن أضحى ملهوفا منهم وهو قادر على إغاثته .

إن الرسول ﷺ يشبه المسلمين جميعا بالجسد الواحد ، إذا تألم منه عضو يتألم لألمه جميع الأعضاء ، فكيف يتحقق ذلك ، وهم لا يدرى بعضهم ببعض ؟

يقول الرسول ﷺ : « حق الجار إن مرض عدته ، وإن مات شيعته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن أعوذ سترته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح ، ولا تؤذه بريح قدرك إلا أن تغرف له منها »[1] .

والحديث من هذا الطريق وإن ضعفه بعض المحدثين إلا أن له طرقا أخرى ، وأحاديث كثيرة جاءت بهذه المعانى تشد أزره وتقويه .

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير ورمز له السيوطى بالضعف .

وحق التعليم أوجب من هذه الحقوق ، فإن الرسول ﷺ قد ذكر هذه الحقوق ، ولم يتوعد على تركها ، وأما حديث علقمة الذى تناول التعليم والتفقيه فقد توعد الرسول فيه من لم يتعلم ، ومن لم يعلم مع القدرة بتعجيل العقوبة فى الدنيا كما أسلفنا .

وقد اتبع الإسلام أساليب شتى ليحقق بها الغاية التى يدعو إليها وهى إشاعة التعليم ومحو أمية الأميين ، فلم يكتف بالحث على التعليم ، ولم يقف عند حد الترغيب فيه ، بل لم يرض أن يكون منتهى ما يقدمه فى ذلك الوعد بالثواب العظيم والأجر الكبير للعلماء وطلبة العلم ، ولكنه اتخذ خطوات عملية ليصل بها إلى الغاية التى ينشدها .

إن الرسول ﷺ قد عامل أسرى بدر – وهم أول أسارى فى الإسلام – معاملة فريدة ، فقد منَّ على بعضهم ، وفادى بعضهم بالمال وقتل بعضهم ، وأما من كان يقرأ ويكتب منهم فقد جعل فداءه أن يعلم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة(١) .

ونحن نلاحظ هنا أن الرسول ﷺ لم يطلب منهم مالا مع شدة حاجة المسلمين إليه ، بل هم فى الحقيقة لم يخرجوا فى تلك الغزوة إلا للاستيلاء على المال ، ولكن لأن الإسلام يعتبر العلم والتعليم أغلى قيمة من المال فقد جعله الفداء لكل من يستطيع تعليم غيره .

والإسلام بذلك يرفع قيمة العلم ، ويقدر العلماء ، ويكون مع هذا قد اتخذ خطة عملية إيجابية لتعليم المسلمين ومحو أميتهم ، والمسلمون يعتبرون روادا فى هذه الباب حيث لم يسبقهم إليه أحد ، بل ربما كانوا هم الوحيدون الذين استعملوا هذا الأسلوب لرفع نسبة المتعلمين ومحاولة القضاء على الأمية بين صفوف المسلمين .

كان هذا والمسلمون لا يزالون فى المدينة لم يمتد نفوذهم إلى أبعد منها بعد

---

(٢) الروض الأنف : ٥/٢٤٥ .

فلما توالت الفتوح ، وانتشر الإسلام ، وأصبحت شبه الجزيرة كلها أو جلها خاضعة للمسلمين والى المسلمون جهودهم لنشر العلم بين السكان .

فأرسل الرسول ﷺ رسلا إلى الأقاليم ليعلموا الناس ويحفظوهم القرآن ، ويفقهوهم فى الإسلام ، وكان أول من أرسله وهو لا يزال فى مكة وبعد بيعة العقبة الأولى مصعب بن عمير – رضى الله عنه – بعثه مع من قدم من أهل المدينة ليعلمهم ويفقههم(١) .

وكان يعلم المسلمين فى المدينة بعد هجرة الرسول ﷺ والمسلمين إليها رجال من الصحابة منهم عبادة بن الصامت ، وأبان بن سعيد بن العاص ، وأبو عبيدة بن الجراح(٢) – رضى الله عنهم – ولما فتحت مكة أرسل الرسول إليها معاذ بن جبل – رضى الله عنه – يفقه الناس ويعلمهم أمور دينهم ، ويقرؤهم القرآن ، ثم بعثه إلى اليمن قاضيا على الجنَد ، يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام(٣) .

وأرسل ﷺ عمرو بن حزم الخزرجى إلى نجران ليعلمهم ويفقههم ويأخذ صدقاتهم(٤) .

فلما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، وقام خلفاؤه من بعده واصلوا المسيرة ، وبعثوا المعلمين إلى كل الجهات التى فتحها المسلمون ، توجه المعلمون إلى الكوفة وإلى البصرة وإلى دمشق وإلى حمص وإلى فلسطين وإلى مصر .

ونحن لا ندعى أن هذه البلاد لم يكن فيها علم ، ولم يكن فيها علماء ، بل بالعكس فإن هذه البلاد مهد للحضارات القديمة ، وكان فيها فى ذلك الحين فنون وعلوم لم يعرفها المسلمون إلا بعد أن فتحوها .

بل نحن نقصد بإرسال المعلمين إليها تعليمهم مالم يكونوا يعرفوه من أمور

---

(١) سيرة ابن هشام : م١ /٤٥٧ .
(٢) التراتيب الإدارية : ١/٤٠ .
(٣) الاستيعاب حاشية الإصابة : ٤/٣٥٦ .
(٤) نفسه : ٢/٥١٧ .

الدين وشئون الدعوة التى كان المسلمون يحملونها إلى كل مكان توجهوا إليه ، وكانت بالنسبة لهم شيئا جديدا لم يسبق لهم معرفته .

توجه عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – إلى الكوفة ، بأمر من عمر بن الخطاب – رضى الله عنه –ليعلم الناس هناك ويفقههم فى الدين ، فكان يعلم الناس القرآن ، ويفسره ، ويروى أحاديث سمعها من رسول الله ﷺ ويفتى مستنبطا الأحكام من الكتاب والسنة ، أو يجتهد رأيه إذا لم يكن نص من كتاب ولا سنة .

وقد تتلمذ على يد ابن مسعود رجال قاموا بالتدريس بعده ، قال فيهم سعيد بن جبير – رحمه الله – : كان أصحاب عبد الله سرج هذه القرية[1] .

وكما كان ابن مسعود فى الكوفة ، كان أبو موسى الأشعرى بالبصرة ، ولاه عمر عليها فكان واليا ومعلما ، يعلم الناس أمور دينهم ، ويفقههم فى كتاب ربهم ، وكان عمر يكبر علمه ، ويعتز بإخلاصه ، فقد روى أن أنس بن مالك – رضى الله عنه – لما قدم إلى المدينة من البصرة سأله عمر ، كيف تركت الأشعرى ؟

قال أنس : تركته يعلم الناس القرآن .

قال عمر : إنه كبير ، ولا تسمعها إياه[2] .

كان عمر – رضى الله عنه – يهتم بكل الأقاليم ، ويرسل إليهم الدعاة والمعلمين ، أرسل إليه يزيد بن أبى سفيان والى الشام يخبره بأن أهل الشام فى حاجة إلى من يعلمهم ويفقههم .

فاختار عمر ثلاثة من خيرة الرجال وبعثهم إلى الشام معلمين وهم : معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء عويمر بن عامر[3] .

---

(١) فجر الإسلام ص ١٨٤ .
(٢) فجر الإسلام : ١٨٥ .
(٣) الإصابة : ٢٦٨/٢ .

فأما عبادة فقد استقر فى حمص ، وأما أبو الدرداء فقد أقام بدمشق ، وتوجه معاذ نحو فلسطين ، وتولى كل منهم تعليم الناس وتهذيبهم فى البلد الذى نزل فيها[1] ، ثم توجه عبادة إلى فلسطين وظل بها يعلم حتى مات[2] .

وفى مصر كان العالم المحدث الفقيه عبد الله بن عمر بن العاص – رضى الله عنهما – أقام فى مصر أيام ولاية أبيه عليها ، وكان لا يألو جهدا فى تعليم الناس وتهذيبهم ، ولعله كان كذلك لأنه كان يدون ما يسمعه من رسول الله ﷺ حتى كانت له صحيفة يسميها الصادقة .

قال مجاهد : رأيت عند عبد الله بن عمرو صحيفة ، فسألته عنها .

فقال : هذه الصادقة ، فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بينى وبينه فيها أحد[3] .

وكان عبد الله – رضى الله عنه – كثير القراءة يضطلع فى كتب السابقين وكان يقرأ بالسريانية ، روى عنه ابن حجر أنه كان يقرأ التوراة[4] .

وهذا يدل على علم غزير ، وسعة أفق ، استفاد منه كل من استمع إليه ، وأخذ عنه ، فكان بحق مؤسس المدرسة المصرية فى العلوم الشرعية .

وهكذا نرى أن العلماء المسلمين قد انتشروا فى أصقاع الأرض التى فتحوها ، وطوفوا بالبلاد فلم يتركوا أرضا إلا غمروها بعلمهم ، وكان كثير منهم يتنقلون بين هذه البلاد ليعلموا أهلها ، أو يتلقوا العلم على من نبغ من أهلها .

وكان العلم فى تلك الفترة يأخذ الصبغة الدينية ، لأن هذه البلاد كانت قريبة عهد بالإسلام ، وكان الذين يدخلون فى الإسلام من أهلها عددا غير قليل ، وكانوا فى حاجة لأن يتفقهوا فى الدين ، ويتعلموا حلاله وحرامه ، وفى الوقت نفسه كان المعلمون الذين يتولون تعليمهم ، لم يكن لديهم من العلم ما يهتمون به

---

(١) فجر الإسلام : ١٨٨ .
(٢) الإصابة : ٢٦٨/٢ .
(٣) فجر الإسلام : ١٩٠
(٤) الإصابة : ٣٥٢/٢ .

مثل العلوم الدينية ، لأنهم كانوا يؤمنون بأن هذا هو العلم الذى يجب على المسلم أن يتعلمه ، فإذا أتقنه فلا بأس بأن يتعلم بعد ذلك ما يشاء .

ولا يستطيع أحد أن يقول بأن الإسلام لم يحض بل لم يهتم إلا بالعلم الدينى فقط لأن واقع المسلمين ، ونبوغهم فى علوم شتى يناقض ذلك ويأباه ، ونحن نلاحظ أن كلمة العلم التى وردت فى القرآن الكريم والسنة الشريفة ليس وراءها ما يفيد بأن المراد بها العلم الشرعى ، بل وردت مطلقة لتشمل كل علم يعود نفعه على الناس .

ولهذا فإننا نجد فى تاريخ المسلمين أنه بعد أن استقرت الأمور ، وتعلم الناس الحلال والحرام ، بدأ المسلمون يبحثون فى علوم وفنون مختلفة كعلوم الطب والهندسة والكيمياء والفيزياء والبصريات وغيرها كالرياضيات بأنواعها وأنهم نبغوا فى ذلك نبوغا لم يسبق له مثيل[1] .

وهذا دليل على أن الإسلام لم يمنع شيئا من العلم مادام نافعا مفيدا ، ولم يمنع أحدا من المسلمين أن يبحث فى أى علم شاء مادام يعود نفعه على الناس ، ويكفينا أن نذكر فى هذا المقام قول الله – تبارك وتعالى – : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها ، وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴾[2] .

فالآية الكريمة ذكرت جملة من العلوم : علم النبات ، وعلم طبقات الأرض وعلم الإنسان والحيوان ، ثم ختمت بقوله – عز من قائل – : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ لأنهم يدركون من دراسة هذه العلوم وغيرها عظيم قدرة الله ، وجليل تدبيره ، وتكون معرفتهم له – جل شأنه – على قدر علمهم به ، وعلى قدر علمهم تكون خشيتهم له – جل ثناؤه وتباركت أسماؤه – تبارك الله أحسن الخالقين .

---

(١) يراجع فى ذلك كتاب العلم عند العرب للكاتب الإيطالى اليدوميلى .

(٢) سورة فاطر : الآية ٢٧ – ٢٨ .

إن المتتبع لتاريخ الحركة العلمية عند المسلمين يلاحظ أنهم بذلوا جهودا خارقة للعادة لمحو أمية الأميين ، وتفقيه غير المتفقهين ، وقد استمرت تلك الحركة دائبة غير وانية يتلقاها الخلف عن السلف ، ويزيدوا عليها ، ويضيفوا إليها ، ويبدعوا فيها حتى كانوا رواد الحركة العلمية العالمية فى تلك الفترة من الزمان كما شهد بذلك المنصفون من المستشرقين وغيرهم .

ولقد كانت جهودهم فى جزيرة العرب ملموسة أكثر منها فى غيرها حيث كانت الأمية سائدة ، بل كانت هى السمة الغالبة على السكان ، فقد ظهر الإسلام فى مكة ، ولم يكن فيها سوى سبعة عشر رجلا يكتبون ويقرأون ، وقد عدهم البلاذرى بأسمائهم كما كان فى المدينة عند دخول الإسلام إليها أحد عشر رجلا ، عدهم البلاذرى بأسمائهم كذلك(١) .

وهذا دليل على قلتهم وندرتهم ، إذ لو كانوا كثرة لما استطاع أحد أن يحصيهم بأسمائهم فى كتاب ، يقول الكتانى نقلا عن الهورينى المصرى : لم تكثر الكتابة العربية فى المدينة إلا بعد الهجرة النبوية بأكثر من سنة ، وذلك أنه لما أسرت الأنصار سبعين رجلا من صناديد قريش وغيرهم فى غزوة بدر السنة الثانية من الهجرة ، جعلوا على كل واحد من الأسرى فداء من المال .

وعلى كل من عجز عن الافتداء بالمال أن يعلم الكتابة لغيره من صبيان المدينة ، فلا يطلقونهم إلا بعد تعليمهم ، فبذلك كثرت فيهم الكتابة ، وصارت تنتشر فى كل ناحية فتحها المسلمون فى حياته ﷺ وبعده حتى بلغت عدة كتابه ﷺ اثنين وأربعين رجلا(٢) .

لقد سجل المؤرخون أن عدد الذين كانوا يكتبون ويقرأون فى مكة المكرمة والمدينة المنورة لا يزيدون على ثمانية وعشرين رجلا كما سبق سبعة عشر فى مكة أحد عشر فى المدينة ، ونحن بعد ذلك أمام عدد من كتاب الوحى تجاوز لأربعين ، ولا شك أن هناك عددا آخر يقرأون ويكتبون ولم يحصوا ضمن كتاب

---

(١) فتوح البلدان : ٤٥٧ ، ٤٥٩ .

(٢) التراتيب الإدارية : ٤٨/٢ ، ٤٩ .

الوحى ، بل إن الذى يتصوره العقل أن يكون كتاب الوحى هم صفوة الكتاب ، وأن غيرهم يكون أكثر عددا منهم .

وبهذه المقارنة الواقعية ندرك مدى الجهد الذى بذله المسلمون فى تطوير الحركة العلمية فى شبه الجزيرة العربية ، ومدى التقدم فى هذا الجهد على تضاعف عدد الكتاب فى تلك الفترة المحدودة .

ولقد استجاب المسلمون لدعوة الإسلام إلى التعليم ، وحرصوا على أن ينهلوا من معين الدعوة ليتفقهوا ، ثم يحملوا العلم إلى غيرهم ممن هم فى حاجة إليه ، حتى كان الرجل يأتى إلى الرسول ﷺ ويطلب منه أن يدفعه إلى معلم جيد يعلمه ويؤدبه .

أخرج ابن عساكر عن أبى ثعلبة قال : لقيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، ادفعنى إلى رجل حسن التعليم .

فدفعنى إلى أبى عبيدة بن الجراح .

ثم قال : دفعتك إلى رجل يحسن تعليمك وأدبك[1] .

هذه هى أهم حقوق الجنود ، ولم أرد هنا الحصر كما ألمحت إلى ذلك سابقا وهى كما رأينا حقوق قررها الإسلام ، وأوجبها على القيادة ، لا يستقيم وضع الأمة بغيرها ، ولا يستتب النظام بدونها ، ذلك لأن الأمن ضرورى لكل فرد ، إذ هو أساس الأوضاع النفسية التى يعيشها الإنسان ، فالأمن من أهم عوامل الاستقرار فى حياة الفرد والجماعة ، لأن فقدانه يورث الخوف والهلع ، ويسبب الاضطرابات النفسية ، وحينئذ لا يستطيع أولئك الذين فقدوا الأمن أن ينتجوا فى أى جانب من جوانب الحياة ، فيتوقف المد الحضارى ، ويتعطل ركب المدنية ، وهذا هو السبب الحقيقى فى حرمان الأمم التى يفقد أفرادها الأمن من مسايرة ركب التقدم والإبداع فى مجالات العلوم المختلفة ، وفقدان الأمن فى هذه الدول هو الذى يضعها فى صفوف الدول النامية مهما ملكت من أسباب التقدم والتطور من القوى المادية والبشرية والفكرية .

---

(١) نفسه : ١/٤٠ - ٤١ .

والرخاء هو التقدم فى الجانب الاقتصادى لأمة من الأمم ، فهو إذن مرتبط بالأمن ارتباطا حقيقيا ، بل هو نتيجة إيجابية لسيادة الأمن والطمأنينة واستمتاع الناس بهما ، ولهذا فإن الدولة التى يسودها الرخاء ، ويعم أفرادها تكون دولة قد أخذت حظها وافرا من الأمن النفسى الذى يدفعها إلى مزيد من الإنتاج ، وبالتالى إلى مزيد من الرخاء .

والتعليم صنو الرخاء ، لا يثمر ، ولا يكون نافعا مفيدا إلا إذا رافقه الأمن النفسى ، قد يحفظ الناس كثيرا من العلوم ، وقديتقنون كثيرا من الفنون ولكنهم يكونون نسخا مما يحفظون ، وصورا مما يتقنون ، وليس هذا هو المقصود بالتعليم ، إذ المقصود الحقيقى هو الإبداع والابتكار ، ومعرفة كيفية الاستفادة من هذه العلوم ، وذلك لا يتأتى إلا فى ظل أمن وارف تشعر فيه النفوس بالاستقرار ، وتجد فيه العقول ما يدفعها إلى الإبداع والابتكار .

العلاقة بين القيادة والجندية

من أهم أسباب تعمير الأمم واستمرارها فى حمل رسالتها ، وتأدية أمانتها العلاقات الطيبة التى تربط بين القيادة والجندية ، فالقيادة الناجحة هى التى توجد المناخ المناسب الذى تعيش فيه مع الجنود كأسرة واحدة يسودها التفاهم ، ويغمرها الحب ، ويسيطر عليها التناصح ، يحترم فيها الصغير الكبير ، ويرحم الكبير الصغير .

والمناخ المناسب فى الدولة الإسلامية هو العقيدة الصحيحة التى توطد الروابط بين أفرادها حكاما ومحكومين ، فالعقيدة هى الرباط الروحى الذى لا تنفصم عراه ، ولا تستطيع أية قوة على ظهر الأرض أن تنال منه ، لأنها رباط إلهى لا تقوى يد البشر على التصدى له ولو حاولت لارتدت إلى صاحبها كليلة عاجزة .

إن هذا المناخ الروحى الذى تعيش فى رحابه الدولة الإسلامية هو سر قوتها ، وسبب انتصاراتها التى أدهشت العالم ، وأعجزت المفكرين عن تعليل الفتوحات الهائلة التى حققها المسلمون فى فترة لا تتجاوز عمر شاب فى الثلاثين .

لقد نجحت الحكومة الإسلامية فى أن تعيش مع رعاياها فى هذا المناخ فحققت هذه المكاسب الضخمة بعدد قليل من الرجال ، وفى فترة وجيزة من الزمان .

ولقد كان يعاصر الحكومة الإسلامية حكومتان من أقوى الحكومات التى عرفتها الدنيا فى حينها ، ولكنها لم تستطع أن تحقق لرعاياها ما حققته الحكومة الإسلامية ، بل لقد فشلت فى مواجهة هذه الحكومة الفتية الناشئة ، وعجزت عن إيقاف زحفها المقدس على ممتلكاتها ، فألقت لها مقاليد أمرها ، وولت هاربة إلى غير رجعة ، وورثت هذا الملك العريض من بعدها دولة الإسلام .

وإذا أراد الإنسان أن يقف على أسباب هذا الانهيار الذى أصيبت به دولتا الفرس والروم وجد أمامه سببين رئيسيين **الأول** : فساد العقيدة أى فساد المناخ الذى يعيش فيه الناس هناك ، **الثانى** : التميز الصارخ بين الحكام الذين كانوا يعيشون فى أبراج عاجية لا يختلطون بالناس ، ولا يعرفون مشكلاتهم ، ولا يشعرون بآلامهم ، والرعايا الذين كانوا مرهقين بالضرائب الباهظة ويئنون تحت وطأة الفقر المدقع والمرض الموجع دون أن يجدوا من يخفف عنهم أو يواسيهم فى آلامهم .

إن هاتين الدولتين كانتا تملكان كل أسباب القوة المادية : السلاح ، الرجال ، المال ، والتنظيم والإدارة ، ولكنهما تجردتا تماما من أسباب القوة المعنوية التى هى فى الحقيقة العامل الأساسى فى التقدم والفوز فكان ذلك هو سر انهيارهما .

لقد استطاعت القيادة الإسلامية أن تأخذ نفسها بالمبادىء التى تفرضها عقيدتها ، وأن تلزم رعاياها بالسير على منهاجها ، فأوجدت بذلك المناخ المناسب الذى يعيش فيه الناس سواسية كأسنان المشط ، وأتاحت الفرصة للتلاحم بين القيادة والجنود فقامت العلاقات بينهما على الأسس الآتية :

١ - التعاون :

وهو أساس متين من أسس المجتمع الإسلامى أمر به الله - عز وجل -

فقال : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾[1] والمقصود بالتعاون بذل العون من القيادة برعاية مصالح الجنود بحفظ أسرهم فى غيابهم للجهاد فى سبيل الله أو سفرهم للتجارة ، وبذل العون من الرعية للقيادة بتسديدهم ومعاونتهم على القيام بمهامهم .

وهذا هو الأصل فى العلاقات بين الراعى والرعية ، وهذا لا يتحقق إلا إذا توفرت الثقة بين الطرفين بحيث يشعر كل منهما بأنه لا يستغنى عن الآخر ، وأنه فى حاجة إلى عونه ومساعدته .

٢ - المحبة :

وهى الأصل الذى يرتبط به المسلمون فى مجتمعهم ، والرسول ﷺ يصور تلك الرابطة بقوله : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر »[2]

والمحبة يجب أن تتحقق بين القيادة والجندية ، ألم تسمع قول الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل - رضى الله عنه - : « يا معاذ ، والله إنى لأحبك »[3]

والرعية كانت تبادل القيادة ذلك الحب ، فهذا زيد بن الدَّثنة ابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف الذى قتل يوم بدر ، فلما قدِّم زيد للقتل قال له أبو سفيان بن حرب : أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمدا عندنا الآن فى مكانك نضرب عنقه ، وأنت فى أهلك ؟

قال زيد : والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإنى جالس فى أهلى .

قال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا[4] .

---

(١) سورة المائدة : الآية ٢ .
(٢) رواه مسلم
(٣) رواه أبو داود والنسائى
(٤) سيرة ابن هشام : م٢ /٩٧٢ .

٣ - التناصح :

والتناصح ضد الغش ، والرسول ﷺ تبرأ من الغش بقوله : « من غشنا فليس منا »(١) والغشاش لا يصلح فردا من أمة تحترم نفسها ، والعلاقات التى تبنى على الغش والخديعة علاقات فاسدة مفسدة ولهذا رفضها الإسلام ، أخبر الرسول ﷺ أن العلاقات بين أفراد الأمة الإسلامية قائمة على التناصح حين قال : « الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال ﷺ : لله ولكتابة ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »(٢) .

فالنصيحة لأئمة المسلمين تكون من الرعية ، والنصيحة لعامة المسلمين تكون من بعضهم لبعض ، وتكون من القيادة للجنود .

وعلى هذا تكون النصيحة ، متبادلة بين الرعية والرعاة فيبذل كل من الطرفين جهده فى نصيحة الآخر ، ومن التناصح بين الراعى والرعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهذا هو منتهى الإخلاص لأن من رأى شخصا على منكر ونهاه عنه يكون قد أنقذه من شر وقع فيه ، ومن رأى شخصا ترك معروفا وأمره به يكون قد دله على خير يعود عليه نفعه .

وبهذا يتحقق المعنى السامى الذى قصده الرسول ﷺ فى قوله الكريم : « أحب للناس ما تحب لنفسك »(٣) .

٤ - العدالة :

والمقصود العدل بين الناس عامتهم وخاصتهم ، ولا يخص بذلك طائفة دون طائفة . والله - عز وجل - قد أمرنا بالعدل قال - تعالى - : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾(٤) .

وبالعدل قامت السماوات والأرض ، والعدل هو الميزان الذى توزن به أعمار الأمم ، فكلما طال عمر أمة من الأمم فاعلم أن ذلك بسبب إقامة العدل

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه الحاكم والطبرانى فى الكبير .
(٤) سورة النحل : الآية ٩٠ .

فيها ، فالعدل يعمر ، والظلم يدمر

وكما أمر الله المسلمين جميعا بإقامة العدل فيما بينهم ، أمر نبيه ﷺ بإقامة العدل بين الرعية ، قال – عز من قائل – : ﴿ وأمرت لأعدل بينكم ﴾[1] .

والعدل ينبغى أن يتحقق بين الناس مهما كان أحد الخصمين عدوا أو صديقا ، ولهذا لما اتهم يهودى بسرقة هو برىء منها نزل القرآن الكريم يبرىء ساحته ، ويشير بأصبع الاتهام إلى السارق الحقيقى وهو أحد المسلمين من الأنصار ، وفى هذا يقول الله – تبارك وتعالى – : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ، لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما ﴾[2] .

وقد حققت القيادة مبدأ العدل التام بين أفراد الأمة المسلمة الحاكم منهم والمحكوم على حد سواء ، روى ابن هشام أن رسول الله ﷺ وهو يعدل صفوف أصحابه يوم بدر ، رأى سوّاد بن غزية بارزا عن الصف فطعنه فى بطنه بقِدْح كان فى يده ، وقال : استو يا سواد .

فقال سواد : يا رسول الله ، أوجعتنى ، وقد بعثك الله بالحق والعدل ، فأقدنى .

فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه ، وقال : استقد فاعتنقه سواد فقبّل بطنه .

فقال ﷺ : ما حملك على هذا يا سوّاد ؟

قال : يا رسول الله ، حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك ان يمس جلدى جلدك .

فدعا له الرسول ﷺ بخير[3] .

هذه هى أهم الأسس التى قامت عليها العلاقة بين القيادة والجندية فى الإسلام ، وقد كانت حقائق ملموسة لا أحلاما وأمانى ولذا حققت غايتها .

---

(١) سورة الشورى : الآية ١٥ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٠٥ .

(٣) ابن هشام : م١ /٦٢٦ .

وسائلنا لتحقيق النصر

أحب أن أنوه هنا وقبل نهاية هذا البحث الذى أرجو أن ينفع الله به الكاتب والقارىء أن أذكر الوسائل التى تمكننا من تحقيق النصر على أنفسنا أولا وعلى أعدائنا ثانيا .

وأقول على أنفسنا أولا لأن الانتصار على النفس هو بداية الطريق إلى النصر على أعدائنا ، وتلك حقيقة لا يمارى فيها إلا معاند فإذا عجز الإنسان عن الانتصار على نفسه التى بين جنبيه يكون عجزه عن الانتصار على عدوه أشد ، والانتصار على النفس يكون بإخضاعها لأوامر الله ، وإلزامها جانب الطاعة وإبعادها عن المعاصى التى تحول بينها وبين السمو الروحى والاتصال بالملأ الأعلى الذى هو مصدر عز المسلمين وانتصارهم :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

والانتصار على النفس يكون بتحويلها عن العبث واللهو والفساد إلى الاتجاه الصحيح والجد والإصلاح ، وذلك هو معنى قوله - تعالى - : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾[1] .

فالوسيلة الأولى من وسائل تحقيق النصر أن نتجه إلى أنفسنا ، وأن نصلح ما فسد منها ، ونعيدها إلى بارئها بريئة من الشرك ، طاهرة من الدنس ، مخلصة له الدين ، متحررة من العبودية لغيره - جل شأنه - فلا تخاف إلا هو ، ولا ترجو غيره ، ولا تركن إلى سواه ، ولا تستمد النصر إلا منه .

---

(١) سورة الرعد : الآية ١١ .

لا تعتمد على قوتها لأن قوتها عارضة ، ولا تعتز بكثرة الجنود لأنهم لن يغنوا عنها من الله شيئا ، ولا تفتخر بسلاحها لأن سلاحها بغير نصر الله مغلول ، ولا تركن إلى حسن تدريبها ، لأنه بغير تأييد الله مهزوم ، وهى بعد ذلك كله تعتقد أن النصر من عند الله وأن العدد والعُدد والتدريب والسلاح أسباب فقط أمرنا باتخاذها فأطعنا ﴿ وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾[1] .

ذلكم هو الأساس الذى يجب أن نبدأ به إذا كنا نريد حقا أن نسلك سبيل النصر ، ويلى ذلك أمور لابد منها نلخصها فيما يأتى :

أ - التربية والإعداد :

والمراد هنا تربية الناشئة تربية إسلامية صحيحة ، نغرس فيهم الفضائل ، وننشئهم على الاعتزاز بدينهم ، وحب أوطانهم ، وبغض كل ما يرد عليهم من خارج يبثهم مما ليس فيه فائدة ونبذ العادات السيئة والتقاليد المستوردة .

إننا إذا لم نرب شبابنا على ذلك ، ونريد منه أن يحقق النصر على عدوه يكون مثلنا كمن ينفخ فى رماد يريد أن يتحول إلى جمر ينضج به شواءه ، وهيهات ثم هيهات .

كيف يحارب الشباب قوما أولع بهم ، وتغنى بأمجادهم ، وقلدهم فى ملبسه وهيئته ، وأقواله وأفعاله ؟

إن التقليد نتيجة حتمية لحبه لهم واعتزازه بهم ، ومن أكذب ممن يدعى أنه سيحارب أستاذه الذى أخلص له ، ويقتل حبيبه الذى أفنى عمره فى اتباعه ، إنها والله فرية لا يقولها عاقل ، ولا يصدقها إلا مجنون .

إن الشباب فى كل عصر وفى كل جيل هم عمد الأمم ، ومحط آمالها ، ودعائم بنيانها ، فلابد أن نربى هذا الشباب على حب عاداتنا وتقاليدنا ، وبغض عدونا ، واحتقار عاداته السيئة .

---

(١) سورة الأنفال : الآية ١٠ .

وعلينا أن نغرس فى نفوسهم أن التقليد الأعمى مضر ، وأن المقلد يكون عادة ضعيف النفس ، خائر العزيمة ، ليس له من قوة الإرادة ما يجعله يعتز بقيمه وتقاليده .

يجب أن يعلم شبابنا أنه خلق ليقود لا لينقاد ، وأنه ولد أستاذا لا تلميذا ، وأن من أهم صفات القائد أن يكون رأسا لا ذنبا ، ومن أبرز صفات الأستاذ أن يكون رائدا يوجه غيره بآرائه السديدة ، وأفكاره الرشيدة .

يا لضيعة أمة ألقى حبلها على غاربها ، وانفلتت تضرب فى الأرض على غير هدى ، حتى بلغ بها الضياع أن هانت على نفسها ، واحتقرت عاداتها ، وأولعت بحب عدوها ، وذلك أبشع أنواع الذل والهوان .

قال الشاعر :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها
هوانا بها كانت على الناس أهونا
فنفسك أكرمها وإن ضاق مسكن
عليك بها فاطلب لنفسك مسكنا

ويقول أبو الطيب :

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام

والتربية فى الإسلام تقوم على أساسين هامين وهما :

١ – الجانب الدينى .

٢ – الجانب الأخلاقى .

وقد أشار إلى هذين الجانبين الحديث الشريف « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم فى المضاجع »[1] .

(١) رواه أحمد فى المسند .

فالجانب الدينى ينص عليه الحديث « مروا أولادكم بالصلاة » والجانب الأخلاق يشير إليه الحديث « وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

وكما تضمن الحديث الشريف أسس التربية تضمن كذلك أساليبها وتتلخص فى أمرين :

الأول : التوجيه والنصح وهما الأمر والنهى « مروا أولادكم » .

والثانى : الزجر والردع ولا يكون ذلك إلا بعد سن العاشرة ويشير إليه الحديث الشريف « واضربوهم عليها لعشر » .

ولقد بلغ حرص المسلمين على تربية أبنائهم ، ورعاية شبابهم أن كان الرجل منهم يصحب ولده إلى الأماكن التاريخية الهامة ويوقفهم على أمجاد آبائهم وأجدادهم ، ويلقنه أحداثها الهامة حتى تنطبع فى نفسه ، ونرسخ فى عقله ، فينشأ على حب بلاده ، ويعيش محترما لتقاليده ، معتزا بتراثه يقول أحدهم : إن كنا لنروى أبناءنا الغزوة من الغزوات ، كما نعلمهم الآية من القرآن .

ولقد كانت التربية الإسلامية مكتملة شاملة تهتم بالجسد بقدر اهتمامها بالروح ، وتعتنى بالعقل كما تعتنى بالأخلاق ، فقويت أجسامهم ونمت عقولهم ، وذكت أخلاقهم ، وسمت أرواحهم ، فتعلقت بما عند الله ، وهانت عليها الدنيا فلم تبهرهم زخارفها ، واشتاقوا إلى الجنة وبذلوا فى سبيلها المهج والأرواح ، وتنافسوا على الموت فى سبيل الله غير هياين فكانوا كما قال فيهم القائل : رهبان بالليل فرسان بالنهار .

ب - جلب السلاح وإعداده :

ونحن مأمورون بذلك من الله - تعالى - فى قوله - جل من قائل - : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾[1] .

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

والآية الكريمة تنص على أن إعداد السلاح يكون بقدر طاقتنا ، ومعنى هذا أنه لا يجب علينا ألا نكون مثل عدونا تماما فى كل ما يملك من الأسلحة والعتاد ، لماذا ؟

أولا : لأننا لو انتظرنا أن نكون مثل عدونا فى كل ما يملك لن نتمكن من ذلك أبدا ، فكلما ازددنا من السلاح كلما ازداد العدو كذلك ، ومعنى هذا أننا سندخل فى سباق لا نهاية له .

ثانيا : لأننا موعودون بالنصر من الله مهما كان سلاحنا متى خلصت نياتنا ، وأدينا ما يجب علينا .

ثالثا : إن وقائع التاريخ تشهد لنا ، فلم يكن المسلمون فى معركة من المعارك متكافئين مع عدوهم لا من حيث العدد ، ولا من حيث العدد ، ومع ذلك كان النصر دائما حليفهم ، والمعركة الوحيدة التى تكافئوا فيها مع عدوهم واعتمدوا على قوتهم وكثرتهم انهزموا فيها للجولة الأولى ، وهى معركة حنين .

فالسلاح لم يجلب للمسلمين النصر ، والعدد الكثير لم يجنبهم الهزيمة ، ولكن النصر على الحقيقة من عند الله ﴿ وما النصر إلا من عند الله ﴾[1] .

جـ - تدريب الجنود على السلاح :

إلى جانب التربية والإعداد ، إلى جوار جلب السلاح وإعداده ، يجب أن يتدرب الجنود على السلاح .

إن الاكتفاء بتربية الجنود جسميا وعقليا وروحيا لا يكفى لخوض معركة مع أعداء الإسلام ، وإن جلب السلاح مهما كان متطورا لا يؤدى إلى هزيمة الأعداء ، لأن السلاح وحده بدون جنود قطع من الحديد لا يزيد على أى قطعة من الحديد الخام ، ولكن إذا تناولته سواعد الرجال أصبح فعالا قادرا على قهر العدو وإذلاله ولهذا لما نزل الزبير بن العوام - رضى الله عنه - فى معركة الخندق ، وضرب نوفل بن المغيرة وهو فى الخندق بسيفه فشقه نصفين ، وأثر

---

(١) سورة الأنفال : الآية ١٠

السيف فى كاهل الفرس فقال له الصحابة - رضوان الله عليهم - : ما أمضى سيفك يا أبا عبد الله !

فقال - رضى الله عنه - ليس هو السيف ، وإنما هو الساعد الذى يحمل السيف[1] .

نعم ، إن السيف إذا كان بيد جبان لا يستطيع أن يدفع به ذبابة ، وإذا كانت العصا فى يد شجاع طارد بها الجيش .

ومن هذا نفهم أن السلاح بدون سواعد لا قيمة له ، ولا شك أن هذه السواعد تحتاج إلى التدريب لتعرف كيف تستعمل هذا السلاح ، ومع التدريب لابد من الحيطة والحذر .

وهكذا يجب أن يكون المسلمون ، إعداد مستمر ، وتدريب لا يتوقف وحيطة وحذر ، وتأهب لا ينتهى ، فإذا جد الجد ، وحان وقت المعركة فعلى المسلمين الصبر والثبات ، وعدم الفرار ، لأن الفرار يوجب غضب الله ، ويستوجب صاحبه جهنم وبئس المصير .

قال - تعالى - : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ، ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾[2] .

د - واجبنا عند اللقاء :

نحن - المسلمين - منهيون عن تمنى لقاء العدو ، ولكن علينا أن نصبر إذ التقينا ، يقول ﷺ : « لا تتمنوا لقاء العدو ولكن إذا لقيتم فاثبتوا »[3] .

والقرآن الكريم رسم لنا خطة اللقاء ، وعلمنا كيف نواجه العدو فى قوله - تعالى - : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا ، واذكروا الله كثيرا لعلكم

---

(١) السيرة الحلبية : ٣٤٢/٢ .

(٢) سورة الأنفال : الآية ١٥ - ١٦ .

تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ، إن الله مع الصابرين ، ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ، ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط ﴾[1] .

هذه أمور يجب على المسلمين أن يتقيدوا بها ، ويلتزموها لأنها صادرة عن الله - عز وجل - وما كان كذلك لا يجوز التهاون فيه ، وهذه الأمور هى معالم النصر ، وسأتناولها بشيء من التوضيح فيما يأتى :

١ - الثبات : ﴿ فاثبتوا ﴾

والثبات شيء لابد منه لاكتساب النصر ، فلم يعرف التاريخ قط جيشا انتصر وهو فار من عدوه ، لأن الذين يفرون يطلبون بفرارهم النجاة ، ويتشبثون بالحياة ، وهؤلاء لا يعرفون طريق النصر لأن النصر لا يتأتى إلا للصامدين الثابتين .

وصفحات التاريخ مملوءة بالانتصارات التى أحرزتها الجيوش التى لم توهنها ويلات الحرب ، ولم تزعزها هجمات العدو .

والثبات يدل على قوة الإرادة التى يتمتع بها الجيش حتى ولو كان ضعيفا لأنه مادام ثابتا فهو فى نظر العدو قوى قادر على المواجهة ومهما كان الجيش قليل العدد فإن ثباته يضمن له النصر بإذن الله .

قال - تعالى - : ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين ﴾[2] .

٢ - الإكثار من ذكر الله : ﴿ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾

وذكر الله - تعالى - هو طب القلوب مما ابتليت به من فتن الدنيا ولأوائها ، وهو العروة الوثقى التى تشد قلب المؤمن وتربطه بالله - عز وجل - وكلما كان الإنسان ذاكرا لله - تعالى - كلما كان فى معية الله ، فيطمئن قلبه ،

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٤٥ - ٤٧ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٤٩ .

ويثبت فؤاده ، ويحس أنه فى كنف الله ، وعندئذ لا يخاف عدوا ، ولا يرهب خصما ، فيقاتل بشجاعة ، ويستبسل عند اللقاء ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾[1] .

إنه وهو يقاتل عدوه يكون على يقين من أن له إحدى الحسنيين فإن انتصر عاد بالأجر والغنيمة ، وإن استشهد فله جنة عرضها السموات والأرض .

٣ - طاعة الله ورسوله : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ﴾

والطاعة هى الخضوع لأوامر الله ، واجتناب نواهيه ، والطاعة بهذا المعنى أقرب طريق إلى النصر ، لأن الله - عز وجل - لا يتخلى عن أوليائه ، ولا يسلمهم لأعدائه .

ولهذا كلما تأخر النصر على المسلمين فى معركة من المعارك يأمر القائد جنوده بالتوبة والاستغفار فعندئذ ينزل عليهم نصر الله ، حدث ذلك فى فتح المدائن كما حدث فى فتح الإسكندرية ، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يحذر الجيوش من الذنوب أكثر مما يحذرهم من العدو ، ويخوفهم من حب الدنيا والتعلق بها لأنه رأس كل خطيئة .

وكتب - رضى الله عنه - إلى عمرو بن العاص وهو يحاصر الإسكندرية .

أما بعد ، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر ، إنكم تقاتلونهم منذ سنتين ، وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم وإن الله - تبارك وتعالى - لا ينصر قوما إلا بصدق نياتهم[2] .

٤ - عدم التنازع والاختلاف : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾

التنازع شؤم يصطلى بناره كل من وقع فيه ، والاختلاف مهلكة ، وأكثر ما تصاب به الجيوش من الهزائم يكون بسبب التنازع والاختلاف ، والتنازع

---

(١) سورة الرعد : الآية ٢٨ .

(٢) الفاروق عمر : ١٣١/٢ .

يورث الوهن وضياع القوة ، فينكشف الجيش أمام عدوه ، فتذهب هيبته من نفسه ، فيجترىء عليه العدو فيهاجمه فى مقره ، ويباغته فى عقر داره .

ولهذا كتب عمر إلى عمرو بن العاص يقول له : ومر الناس جميعا أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد[1] .

٥ - **الصبر** : ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾

والصبر أقوى للنفس على مواجهة العدو ، وأمضى سلاح ينتصر به الجيش ، وهو دليل على قوة الإرادة ، وزمام يسيطر به الإنسان على رغباته وشهواته ، وإذا سيطر الإنسان على رغباته وأهوائه كان أقدر على الانتصار على أعدائه ، ولهذا يقولون . ليس بين النصر والهزيمة إلا صبر ساعة .

وجاء النصر فى القرآن الكريم ، وفى الأحاديث الشريفة مقرونا بالصبر ، قال - تعالى - : ﴿ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾[2] .

وقال - جل من قائل - : ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ﴾[3] .

وقال - تبارك وتعالى - : ﴿ فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ﴾[3] .

ويقول الرسول ﷺ : ﴿ واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا ﴾[4] .

٦ - **التواضع والإخلاص ونشر الدعوة** : ﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ، ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط ﴾

---

(١) الفاروق عمر : ٢/١٣١ .
(٢) سورة آل عمران : الآية ١٢٥ .
(٣) سورة الأنفال : الآية ٦٥ - ٦٦ .

التواضع من الصفات المحبوبة لدى الناس جميعا ، والمتواضع عظيم فى أعين الناس ، وفوق ذلك فإن التواضع يجعل صاحبه يحس دائما بافتقاره إلى الله – عز وجل – فيلجأ إليه فى كل أحواله ، ويستنصر به على أعدائه .

والإخلاص هو تمحيص العمل لله – تبارك وتعالى – فلا يقصد به غيره ، ولا يتوجه به إلى سواه ، فيصبح بذلك خاليا من الرياء المحبط للعمل ، وإذا كان العمل خالصا لله ، وصاحبه متواضعا لله ، فإن ذلك يؤدى إلى رضوان الله ، ويرفع صاحبه درجات عند الناس ، فمن تواضع لله رفعه .

وليكن المقصود بالجهاد نشر الدعوة ، وإعلاء كلمة الله ، وتوضيح الحق لكل إنسان ، حتى يقبل الناس على الإسلام ، ويدخلوا فى دين الله أفواجا .

وهذه الصفات الثلاث تقرب صاحبها من الله ، وتجعله محلا لرحمته ، وموضعا لرضاه ، وهى كذلك من أهم عوامل النصر على الأعداء .

وقد حذر الله – عز وجل – المسلمين من الاتصاف بضد هذه الصفات حين قال – تعالى – : ﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ، ويصدون عن سبيل الله ﴾[1] .

هذه الصفات التى وصف الله بها المشركين هى معاول الهدم فى صفوفهم فالكبرياء والرياء والصد عن سبيل الله هى التى أدت إلى هزيمة المشركين فى بدر ، ولهذا حذر الله منها المؤمنين حتى لا يكون مصيرهم كمصير المشركين .

ولهذا نرى الصورة المعاكسة لذلك تماما فى قوله – تعالى – : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾[1] .

فالآيات هنا تذكر المؤمنين بما يجب عليهم إذا نصرهم الله ، ورأوا الدعوة قد عم نورها ، وانتشرت بين الناس فدخلوا فى دين الله أفواجا .

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٤٧ .

(١) سورة النصر .

فالواجب عليهم حينئذ ألا يطغوا ، ولا يتجبروا ، وليكن حالهم التواضع . والإخلاص ، والتسبيح والاستغفار .

ولهذا لما فتح المسلمون مكة ، رؤى رسول الله ﷺ وهو داخل قد طأطأ رأسه حتى إن عثنونه ليكاد يمس عنق راحلته(١)

هكذا يجب أن يكون المسلمون عند لقاء العدو وبعد أن يتم الله عليهم نعمته بنصرهم على عدوه وعدوهم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المدينة المنورة فى ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٤٠٥ هـ
١٥ فبراير سنة ١٩٨٥ م

(١) إمتاع الأسماع : ٣٧٧ بشرح محمود شاكر .

ثبت المصادر والمراجع

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١ –	القرآن الكريم	
٢ –	صحيح البخارى	
٣ –	صحيح مسلم	
٤ –	سنن أبى داود	
٥ –	سنن الترمذى	
٦ –	سنن النسائى	
٧ –	مسند الإمام أحمد	
٨ –	معجم الطبرانى الكبير والأوسط والصغير	
	كتب أخرى	
٩ –	الكامل فى التاريخ	ابن الأثير
١٠ –	مختصر منهاج القاصدين	أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة
١١ –	فجر الإسلام	أحمد أمين
١٢ –	فتوح البلدان	للبلاذرى
١٣ –	تاريخ الأمم والملوك	ابن جرير الطبرى
١٤ –	تفسير الطبرى	ابن جرير الطبرى
١٥ –	الوفا بأحوال المصطفى	لأبى الفرج بن الجوزى
١٦ –	مناقب عمر	لأبى الفرج بن الجوزى
١٧ –	البرهان فى أصول الفقه	للجوينى
١٨ –	الإصابة فى معرفة الصحابة	لابن حجر
١٩ –	فتح البارى شرح صحيح البخارى	لابن حجر
٢٠ –	ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين	لأبى الحسن الندوى
٢١ –	مقدمة ابن خلدون	لابن خلدون
٢٢ –	فى ظلال القرآن	سيد قطب

٢٣ –	فتح القدير	للشوكانى
٢٤ –	الاستيعاب فى معرفة الأصحاب	لابن عبد البر
٢٥ –	مختصر سيرة الرسول	عبد الله بن عبد الوهاب
٢٦ –	سيرة ابن هشام	عبد الملك بن هشام
٢٧ –	التبشير والاستعمار	عمر فروخ مصطفى الخالدى
٢٨ –	أخبار عمر	على الطنطاوى وأخيه
٢٩ –	رسالة الفروسية	لابن قيم الجوزية
٣٠ –	زاد المعاد	لابن قيم الجوزية
٣١ –	البداية والنهاية	لابن كثير
٣٢ –	تفسير القرآن	لابن كثير
٣٣ –	الرحيق المختوم	للماركفورى
٣٤ –	التطور والثبات فى حياة البشرية	محمد قطب
٣٥ –	المخططات الاستعمارية	محمد الصواف
٣٦ –	تأملات فى سيرة الرسول	محمد الوكيل
٣٧ –	الترويح فى المجتمع الإسلامى	محمد الوكيل
٣٨ –	موسوعة المدينة المنورة	محمد الوكيل
٣٩ –	هذا الدين بين جهل أبنائه وكيد أعدائه	محمد الوكيل
٤٠ –	حياة محمد	محمد حسين هيكل
٤١ –	الصديق أبو بكر	محمد حسين هيكل
٤٢ –	الفاروق عمر	محمد حسين هيكل
٤٣ –	إمتاع الأسماع	للمقريزى
٤٤ –	الحجاب	للمودودى
٤٥ –	الخراج	لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم